Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامعةِ بَابِل للعُلومِ الإنسَانيّة
Vol.32 / No.8/ 2024 المجلد 32 / العدد 8/2024

رؤية العالم في رواية "الفئران" لحميد العقابي

زينب علي صادق جواد علوش
قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة بابل
art.zainb.ali@uobabylon.edu.iq

تاريخ استلام البحث: 18/ 3 /2024 **تاريخ قبول النشر: 2024/4/15** **تاريخ نشر البحث: 28/8/ 2024**

المستخلص:

ركز رواد البنيوية في بداياتها على داخل النص محاولين إدراك كيفية تحقق الترابط بين البنيات اللغوية، متجاهلين كل السياقات المحيطة بالنص الأدبي، فظهرت البنيوية التكوينية التي جمعت بين ما هو داخلي وما هو خارجي، فركزت على البنيات الداخلية التي يتكون منها النص وفي الوقت نفسه كشفت رؤية المبدع وطبقته عبر العالم الخارجي والسياق الثقافي. وبما أنَّ أهم الأسس التي ارتكزت عليها البنيوية التكوينية هي (رؤية العالم)، لذا سنوجه مسار البحث للعناية بهذه المقولة فكان البحث موسوماً بـــ(رؤية العالم في رواية الفئران لحميد العقابي)، فقد حاول الكاتب في هذه الرواية أن يجسد الواقع الاجتماعي والسياسي والديني في بلده بأسلوب درامي فني، محملاً بشحنات عاطفية تمثل الصراع بين الواقع المراد والواقع المعيش.

الكلمات الدالة: البنيوية التكوينية، رؤية العالم، غولدمان، حميد العقابي

Viewing the World in Hamid Al-Aqabi's Novel "Mice"

Zainb Ali Sadik Alwash
Department of Arabic Language/ College of Arts/ University of Babylon

Abstract:

The pioneers of structuralism, focused in theie early begin on the inside of the text trying to know how linguistic interrelationship, Ignoring all the context surrounding the literary text, Formative structuralism emerged that combined what was internal and external, and focused on the structures that make up the text, and at the same time revealed the creative vision and its layer through the external world and the cultural context. And since the most important foundations on which the formative of the world, So we will direct the course of research to take care of this saying so the research was tagged with (seeing the world in the novel by Hamid Al-Oqabi) and we will try to define the formative structuralism and its most important vision of the writer (Hamid Al-Oqabi) and how he embodied it.

Key words: Formative Constructivism, seeing the world, Goldmanm, Hamid Al-Oqabi.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

1- المقدمة:

البنيوية التكوينية هي فرع من فروع البنيوية، وتُعد من مناهج ما بعد البنيوية، فقد جاءت لسد ثغرات المنهج البنيوي، إذ إنّها تجمع ما بين البعد الاجتماعي والبعد اللغوي. نشأت البنيوية التكوينية استجابة لسعي بعض المفكرين والنقاد الماركسيين وعلى رأسهم الفرنسي لوسيان غولدمان للتوفيق بين طروحات البنيوية في صيغتها الشكلانية من جهة، وأسس الفكر الماركسي الجدلي من جهة أخرى، والذي يركز على التفسير المادي الواقعي لعموم الفكر والثقافة، فالتفكير الماركسي من هذا المنطلق يتجاوز مفهوم البنية المغلقة للنص الأدبي، ويحاول في الوقت ذاته ربط النص الأدبي بسياقه الاجتماعي

1-1 هدف البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى التعريف بالبنيوية التكوينية وأهم مرتكزاتها، وما أهم الرؤى في الرواية السياسية (الفئران) للكاتب (حميد العقابي)؟ وكيف تجسدت؟

1-2 منهج البحث:

اعتمدنا منهج البنيوية التكوينية لدراسة الإشكالية، لأننا رأينا هذا المنهج مناسب لهذه الدراسة، فالبنيوية التكوينية ترى فيها تلك المزاوجة بين دراسة الشكل والمضمون.

1-3 أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في العلاقة الجدلية بين الأدب والمجتمع، فالأدب تصنعه الظروف الاجتماعية والسياسية...إلخ، والبنيوية التكوينية التي نادى بها غولدمان تفهم النص بوصفه حدثا اجتماعيا، والرواية نص يمتاز بمقدرته على نقل الواقع، ورواية (الفئران) رواية سياسية حملت العديد من الرؤى والدلالات.

2- الجانب النظري:

2-1 التمهيد:

تعد البنيوية التكوينية منهجاً جدلياً في دارسة الظواهر الثقافية، ظهر لفهم العلاقة الموضوعية بين العمل الفني وواقع تلك العلاقة التي نظرت إليها المذاهب النقدية السابقة، نظرة آلية ضيقة أو سطحية[1:ص11]، وهذا يعني أن البنيوية التكوينية، جاءت لتوضح العلاقة بين الإبداع الأدبي وبين الواقع الذي يعكس هذا الفن، في صور وقوالب فنية وجمالية متميزة، وهي وليدة المنهج الجدلي الماركسي الذي أسسه جورج لوكاتش (فالبنيوية التكوينية فلسفة متكاملة ذات منظور نقدي يتجاوز سلبية النقد إلى استشراف إيجابية تنسجها الجدلية القائمة بين الذات والموضوع، تلك الجدلية الممثلة لجوهر كل علم تكويني)[2:ص80].

ولتحديد الجذور التي خرجت منها البنيوية التكوينية يقول مؤسسها لوسيان غولدمان:(إنَّ البنيوية التوليدية مفهوم علمي وايجابي عن الحياة الإنسانية وهو مفهوم يتصل مفكروه الأساسيون بفرويد على أساس سيكولوجي، ويتصلون بهيجل وماركس وجارمش ولوكاتش على أساس تاريخي اجتماعي)[3:ص73]. وقد عنيَ غولدمان بالفرضية الأساسية للبنيوية التكوينية التي مؤداها(أنَّ كل سلوك إنساني هو محاولة لتقديم جواب دال لوضعية

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

مطروحة، ومحاولة من خلال ذلك لخلق توازن بين الذات الفاعلة والموضوع الذي مورس عليه الفعل، هذه الفرضية مقبولة بالبداهة، شريطة ألاّ تكون فرضية مطلقة، وعلى وجه العموم إذا كانت عملية انشاء بنيات وعملية تفكيكها تحقق توازناً، فأنّه ليس من الازم أن يكون الجواب المقدم دالاً في كل حالة فردية، بل إن غولدمان يتحدث في لحظة معينة عن (نتاجات مهمة حقاً) ويقبل ويسلم في إحدى المناقشات بأن الدال والتكوين مترادفان)[4: ص80] فهو يرى أن العمل الأدبي الإبداعي ليس فرديا، بقدر ما هو جماعي وأن البنيوية لها علاقة بالسياق الاجتماعي والاقتصادي ولا ينظر لهذه العلاقة على أنها مجرد تناسق أو توازي بسيط بين الأثر الأدبي وبين شروط انتاجه إذ إنَّه (أي فكر أو أثر إبداعي لا يكتسب دلالته الحقيقية إلا عند اندماجه في نسق الحياة أو السلوك)[5:ص10] ومن طروحات غولدمان[2:ص45]:

- العلاقة الجوهرية بين الحياة الاجتماعية والإبداع الأدبي لا تحيل على هذين القطاعين وإنَّما تحيل إليه البنية الذهنية التي تنظم الوعي الجماعي وهي ليست ظواهر فردية بل ظواهر اجتماعية، وهي لا تتعلق بأيدولوجيات المبدع بل تتعلق بما يرى وبما يحس.
- التناظر بين بنية الوعي الجماعي للمجتمع، وبين العمل الأدبي لا يكون تاما، بل أحيانا يكون مجرد علاقة غير دالة.
- البنى الذهنية هي بنايات قريبة من البنايات العضلية والعصبية، المحددة لسمات الحركة الإنسانية.

لقد اعتمدت البنيوية التكوينية على مجموعة من المصطلحات الإجرائية، ومن أهم هذه المصطلحات:

1- **البنية الدالة:** ويعد الأداة الرئيسة للبحث، فعبرها نستطيع فهم الاعمال الأدبية وربطها بالسياقات الخارجية التي اعتمدت عليها هذه الاعمال، ويفترض غولدمان عبر هذه البنية (الانتقال من رؤية سكونية إلى رؤية دينامية، أي وحدة النشء مع الوظيفة بحيث نكون أمام عملية تشكل البنايات المتكاملة مع عملية تفككها)[2: ص43]. إذن عن طريق البنية الدالة يمكن أن نترجم الأعمال الأدبية بشكل أحادي المعنى إلى أنساق فلسفية متكاملة وشاملة حسب رؤية غولدمان (البنية الدلالية يمكن اعتبارها مبدأً منسقاً، عاملاً محدداً، يمثل كلاً متماسكاً للنص الأدبي أو الفلسفي)[6:ص52].

2- **الوعي القائم والوعي الممكن:** الوعي القائم هو مجموعة التصورات التي تملكها جماعة معينة ضمن نشاطها الاجتماعي، وهذا يعني أنَّ الوعي القائم هو (آني لحظي وفعلي، من الممكن أن يعي مشاكله التي يعيشها، لكنه لا يملك لنفسه حلولاً في مواجهتها، والعمل على تجاوزها)[7:ص57] أما الوعي الممكن فهو الوعي المحتمل لطبقة اجتماعية معينة تكون نظرته مستقبلية على عكس الوعي القائم. وبنية الوعي هي بنية مرتبطة بالظروف العامة للمجتمع بكيفية معينة، وأنها ليست بنية منفصلة عن البنى الكلية للجماعة وحسب غولدمان درجة الوعي الاجتماعي ثلاث[2:ص25]:

- الوعي الإيديولوجي وهو أكثر ضعفا؛ لأنه يعبر عن فئات لا تستطيع تحديد أ وضاعها الاجتماعية.
- التصور القائم وهو وعي مختلف ومغاير ويرتبط بجماعات مغايرة وتصور العالم هذا هو وعي اجتماعي يتسم بعلاقته بالإبداع الأدبي.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

- الوعي الممكن وهو تعبير عن وعي الجماعة بذاتها في أكثر اشكاله صفاءً وارتقاءً هذا ما يؤكده غولدمان لأهميته.

3- **الفهم والتفسير:** مصطلح يشير (الى وصف الأثر الأدبي وتصنيف وحداته الداخلية الشكلية والصوتية وتحليل عناصره اللغوية، وتعيين خصائصه الداخلية)[3:ص81] فإذا كان الفهم هو التركيز على النص ككل دون أن نضيف إليه شيئا، من تأويلنا أو شرحنا، فإن التفسير هو الذي يسمح بفهم البنية بطريقة أكثر انسجاما، مع مجموعة النص المدروس ويستلزم التفسير إحضار العناصر الخارجية المساعدة، في تكوين النص والمحيطة به، لكي تتم عملية الفهم للبنية الدلالية، بصورة واضحة ودقيقة، فالفهم والتفسير عمليتان مرتبطتان ولا يمكن ان نفصل بينهما في أي حال من الاحوال[8:ص35].

4- **رؤية العالم:** وهي من أهم المصطلحات الاجرائية التي اعتمدت عليها البنيوية التكوينية، وهي (مجموعة التطلعات والعواطف والأفكار، التي يلتف حولها أفراد المجموعة، أو طبقة فتجعل منهم معارضين للمجموعات الأخرى من أجل تحقيقها، وتبعث لديهم نوعاً من الوعي الطبقي الذي يحققونه بدرجات متفاوتة، في الوضوح والتجانس)[8:ص35] أي إنَّ النصوص الإبداعية تقوم على أبنية عقلية تتجاوز الفرد، وإنّها تنتمي إلى الجماعات التي لديهم أحلام وتطلعات مستقبلية أفكار مثالية تروم تحقيقها، وهذه الطبقة لا تخضع قوانين الواقع الاجتماعي. فرؤية العالم (هي الكيفية التي ينظر فيها إلى واقع معين، أو هي النسق الفكري الذي سبق عملية تحقق النتاج، وليس المقصود بها نوايا المؤلف، بل الدلالة الموضوعية التي يكتسبها النتاج بمعزل عن رغبات المبدع، وأحياناً ضدها)[3:ص79]

2-2 البناء السردي في رواية (الفئران):

تعد الرواية مرآة عاكسة للمجتمع بكل ما فيه من تناقضات وصراعات، فهي أداة فنية يعتمدها المبدع أو الروائي لنقل أفكاره وتجاربه وأحاسيسه لاستمالة القارئ وجعله متفاعلا مع النص عبر العديد من العناصر التي لا يستطيع الروائي الاستغناء عنها ومن أبرزها:

***الشخصيات:** التي ساهمت في بناء الشكل الروائي فهي أداة ووسيلة الروائي للتعبير عن رؤيته من جهة ومن جهة أخرى فهي بمثابة الطاقة الدافعة التي تحلق حولها كل عناصر السرد، بوصفها شكل المختبر للقيم الإنسانية التي يتم نقلها من الحياة، ومجادلتها أدبيا في النص، فهي القيمة المهمة في الرواية، وهي المسؤولة عن تحول الخطاب داخل الرواية باختزالاته وتقاطعاته الزمكانية. لكن تودوروف يؤكد أن الشخصية الروائية (ما هي إلاّ مسألة إنسانية قبل كل شيء ولا وجود لها خارج الكلمات لأنها لست سوى كائنات من ورق)[9:ص3] نلاحظ أن تودوروف هنا لا ينقص من أهمية الشخصية في العمل الروائي، ولكنه يشرط أن نجرد الشخصية من محتواها الدلالي وتتوقف عند وظيفتها النحوية فنجعلها بمثابة الفاعل في العبارة السردية، وبعد ذلك نقوم بالمطابقة بين الفاعل والاسم الشخصي للشخصية[10:ص213].

تركز أحداث رواية (الفئران) على مجموعة من الناس أُعتُقِلوا بلا جرم، ليكونوا فئران تجارب لمعرفة طاقتهم القصوى على تحمل الذل والمهانة، لتحويلهم إلى مواطنين صالحين مطيعين ومنصاعين لأوامر القائد ورغباته، ولا يُفرَج عنهم إلاَّ بعد التأكد من نجاح التجربة.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

حوت الرواية على عدة شخصيات رئيسية، بدأً من الراوي المشارك الذي لم يُذكر اسمه الأصلي، بل ذُكِر الاسم الذي أطلق عليه أثناء التجربة (واوي) الذي شارك بقية الشخصيات الظلم والمهانة والاعتقال والأهم ألغاء الذات، عبر تغيير أسمائهم (نعم، الآن ستغادرون ولكن بعد أن يتم توزيع أسمائكم الجديدة...من الآن عليكم أن تنسوا أسمائكم القديمة والتي لم تكن باختياركم أصلاً بل أجبرتم على حملها من قبل أبوين متخلفين ينتميان إلى الماضي السحيق)[11:ص26–27]، ثم إعادة تسميتهم بأسماء الحيوانات لمسخ هويتهم (نطت ضحكة من أحدنا ثم تواصل الضحك غير أنَّ الأنسة ريم أشارت إلى زميلتها لكي تعجل بقراءة الأسماء:(عباس ناصر.. خروف، جابر مهدي.. عجل، عبد الرزاق حسون..غراب.....أما أنا فقد صار إسمي (واوي))[11:ص28] لتكتشف هذه الشخصية في نهاية الرواية أنَّ كل الأحداث التي مرَّ بها أبطال الرواية، وكل التجارب المرّة والتعذيب المهين، كان كله عبارة عن حلم (هذه ليست جدران حقيقية..صدقني..إنَّها من ورق)[11:ص138]، هذا الاكتشاف الخطير الذي قاله عباس (المجنون) للراوي المشارك (واوي) والذي جعله يبدأ برحلة هروبه واستيقاظه من الحلم. فكان الحلم بحد ذاته هو رؤية الكاتب المأساوية للواقع السياسي والضعف المهين الذي عمَّ المجتمع العراقي في تلك الحقبة.

ومن الشخصيات الرئيسة في الرواية هي شخصية (نعيم حسين) وقد وصفه الراوي بأنه رجل شارف الخمسين من العمر، وهو معلم في مدرسة ابتدائية، وهو رجل مثقف واعٍ لظروف بلاده ووضعه، رافض للسلطة والسياسة الحاكمة (كثيراً ما نبهت منذ زمن طويل عبر المقالات التي كنت أنشرها في جريدة الحزب السرية قبل الميثاق الذي عقده الحزب مع هذه الزمرة الفاشية وعبر أحاديثي الطويلة مع الرفاق ولكن مع الأسف لم ينتبه أحد)[11:ص30] ولكن هذا المعلم والرافض السياسي المثقف انكسر وانهار بعد إن فشل الاحتجاج واندحر صوت الرفض، فقد تغير وصار من حلقة القوة التي تثير الحماس للسجناء وحثهم للرفض، صار مدافعاً عن السلطة ومؤيداً لها ليصبح بعد تحوله مدير غرفة التجارة في المحافظة (وها هم يختارون الحلقة الأقوى بين السجناء ليجروا عليهم اختبارهم، فسينهار الباقون بعد أن يروا بأعينهم كيف الفهود تحولت أرانب...)[11:ص90–91]. ومن الشخصيات الرئيسة الشاعر (عباس ناصر) الذي لم يَسرِّ عليه مفعول الأسماء الجديدة (لم ألتق بعباس ناصر من قبل ولكني كنت أتابع أخباره وأقرأ ما ينشره من قصائد سريالية وسجالات راديكالية في الشعر والحداثة في صحيفة (المنبوذون) وقد اشتهرت مجموعته الشعرية (حليب المدن السماوية)....)[11:ص44–45]، بهذا التقديم والإعجاب بهذه الشخصية جعل الراوي المشارك المتلقين يتوقعون الكثير من هذه الشخصية، التي هي بالفعل حاولت جاهدة لتغيير الوضع الذي هم فيه عبر اشعاره والخطابات التي يشاركه بها (فهد) حتى أقاموا الثورة، لكن هو على عكس (فهد) الذي رُوِضَ على يد (ريم وغزالة)، بل هو بقي في المعتقل وأصيب بالجنون. أما شخصية (الشيخ جاموس) الشخصية الدينية التي لم تستطع أن تغير شيئاً، وكانت أضعف من أن تجعل الآخرين يصغون إليها، فحتى عندما اكتشف الشيخ الرذيلة التي قام بها (خفاش ودولفين)، لم يستطع أن يفعل شيئاً (وقبل أن يسترسل جاموس بتأنيبه، قاطعه خفاش بصوته الأجش الذي يخرج من مغاور متبغة ورئتين منخورتين((اخرس يا مخرف!)) لم يتجرأ أحد على الرد وشرعوا يتفرقون...)[11:ص63] هذه الشخصية الدينية لم تستطع أن توقف الرذيلة التي تكررت فيما بعد مع بقية المساجين، فكيف تكون نداً للسلطة؟ فحتى عندما ثار السجناء وعم الرفض

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

كان (هو وطاووس وبلبل) شهداء تلك الثورة الخاسرة (كان قنفذ يشير إلى ثلاث جثث مثخنة بالجراح ومرمية بين الأسرة، صرخ عباس..صرختُ..صرخ فهد، ثم ارتفع الصراخ ثانيةً حينما تأكد لنا استشهاد الشيخ جاموس والفتى بلبل والشاب طاووس)[11:ص79]. من هنا نلحظ أنَّ الشخصيات الرئيسة من السجناء، كانوا شخصيات مثقفة فمنهم الشاعر، والكاتب، والصيدلاني، والفنان، والشيخ، ومن ذوي الشهادات العليا، وهذا يبين مدى ضعف العلم والدين والتيارات المعارضة أمام قوة السلطة وبطشها.

أما الشخصيات الثانوية فنجد شخصية (ريم) ومساعدتها (غزالة) اللتان كانتا أقوى سلاح لترويض الفئران وتحويلهم من بشر إلى مسوخ تشابه طباعهم أسماء الحيوانات التي حصلوا عليها، حتى عندما ثار المساجين لم تكن الأسلحة والبنادق من أوقفتهم بل كانت أجساد المجندات العارية هي التي أحبطت همتهم (انشق الجدار وتدفقت مجندات إلى القاعة من فم القائد المعوج بابتسامته الساخرة وعينيه الماكرتين. أحطنَّ بنا بينما وقفت ريم وغزالة...فبدأنَ بفتح أزرار قمصانهنّ ببطءٍ شديد حتى تعرت صدورهن...وحينما أكملن عريهن تماماً وبانت الأفخاذ وما بينها. توقف صراخنا دون أن نشعر وكأنَّ البطاريات قد نفدت شحنتها...)[11:ص80] بعد انتصار هذا السلاح الجريء، بدأن بتغيير نمط تعاملهن للسجناء حتى وقعوا بحبهن مما سرع من عملية مسخ السجناء. ومن الشخصيات الثانوية نجد شخصية (حمامة) معلمة النشيد والتهذيب التي بُنيت بصورة متناقضة، هذ التناقض الذي يكشف تناقض السلطة وسياساتها التي تمارسها، ففي درس الإنشاد تخلع ثيابها مع الإبقاء على ملابس خفيفة تثير الشهوة، في حين في درس الدين تدخل بحجاب طويل ونظراتها على الأرض تلوح عليها هالة عفة وسناء روحي. وهذ التناقض نجده حتى في اسمها (دارت الزائرة في أرجاء الصالة كأنَّها تتفحصنا من الجوانب الأربعة أو تقرأ ما تخبئ هذه الرؤوس العنيدة التي ربما أينعت وحان قطافها...(اسمي حمامة) قالت وهي تنظر في عيوننا بنظرات صارمة كأنَّها تريد أن تستدرك لتقول بأنَّها ليست اسماً على مسمى، بل إنَّها إن دعت الضرورة ستصبح أفعى أو لبوة شرسة)[11:ص103].

***الزمكان**: مصطلح صيغ نحتاً من الزمان والمكان، ولابُدَّ من الدمج بينهما في هذه الدراسة للتداخل الشديد بينهما (فكل محاولات الفصل بين المكان والزمان تفضي غالباً إلى اعتراف ضمني بوحدتهما أو بتماهيهما في الأصول)[12:ص50]. وعلى الرغم من ثبات المكان، وتغير الزمان، فالمكان في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها، يحتوي على الزمن مكثفاً، وهذه هي وظيفته[13:ص39]. أي إنَّ (ما يحدث في الزمكان الفني الأدبي هو انصهار علاقات المكان والزمان في كل واحد مدرك ومشخص. الزمان هنا يتكثف، يتراص، يصبح شيئاً فنياً مرئياً، والمكان أيضاً يتكثف، يندمج في حركة الزمن والموضوع بوصفه حدثاً أو جملة أحداث التاريخ. علاقات الزمان تتكشف في المكان، والمكان يدرك ويقاس بالزمان. هذا التقاطع بين الأنساق، وهذا الامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان الفني)[14:ص6].

مثل السجن في رواية الفئران حقلاً زمكانياً مشحوناً بالدلالات والأبعاد الرمزية لحقبة زمنية امتازت بالقمع والحصار. فقد ركزت أحداث الرواية على السجن الذي كان مكاناً معادياً لشخصيات الرواية (فئران التجارب)، فهو مكان لمسخ هوياتهم وسلب بشريتهم، وهو مكان باعث للنفور والفزع، مكان كان الخوف فيه أكبر من يوم البعث، والناس الذين فيه أقسى من زبانية جهنم بحسب وصف السارد المشارك الذي أوحت كلماته بهذه الدلالات

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

في كل وصف للمكان سواء في مكان نومهم أو غرفة الأنشاد والتهذيب أو السجن الانفرادي الذي رُميَّ فيه (قاعة واسعة بجدران كونكريتية، مغطاة بقماش أسود. في مقدمة القاعة وعلى مرتفع مستطيل يشبه المسرح منضدة كبيرة. وضع عليها كتاب كبير وسميك بغلاف متهرئ والى جانبه مطرقة خشبية صغيرة. كرسي متواضع لا يمكن أن يكون عرشاً لخالق السماوات والأرض...)[11:ص20] فلم نجد في الرواية تعدد مكاني مما يوحي بالضيق النفسي وليس المكاني فقط، وعلاقة السارد المشارك به سلبية نافرة موحشة عبَّرت عن الانهزام والضعف والقمع الذي تعرض له المثقفون من السلطة الدكتاتورية الظالمة (نقلوني إلى غرفة أخرى انتشرت فيها رائحة دمٍ وجثث متفسخة. تكورت في الركن واضعاً رأسي في حجري مصغياً إلى صوت صراصير وفحيح أفاعٍ يخرج من ثقوب في الجدران لكني غفوت كأني قد وثقتُ بأنَّ الأفاعي ستهرب من رائحتي أو أنَّها أرحم من بني البشر)[11: ص123].

أما الزمان في الرواية فكان مجهولاً وغير محدد، بل يكاد ينعدم، فلا أحد من الشخصيات يعرف الزمن، أو يعرف الليل من النهار (حتى صرخ أحد مكتشفاً آلة لقياس الزمن حينما تلمس لحيته فوجدها قد استطالت بما يوحي بأننا كنا في غيبوبة تجاوزت ثلاثة أيام على الأقل...)[11:ص29]، ونستطيع أن نقول أنَّ الزمن ضائع كضياع أرواح الشخصيات وإرادتهم (عندها نهض الجميع متأففين لمعرفة ماذا يخبئ لهم هذا الصباح الأسود (كما قلتُ سابقاً لا أحد هنا يعرف حركة الزمن فالصباح يعني الزمن الذي يلي فترة النوم)[11:ص62]. لقد كان سير الزمن في الرواية متتابعاً لم يحوِ على تقنيات (الاسترجاع والاستباق) كما إنَّ الراوي كان مشتركاً بأحداث الرواية مما أعطى واقعية لأحداث الرواية، مع غياب الزمن أعطى رمزية أبدية الزمن أي إنَّ الأحداث التي دارت في فترة قمع وظلم واستبداد ألقت بظلالها على الشخصيات، فتحول الزمن إلى زمن مطلق.

3- الجانب النظري:

رؤية العالم في رواية الفئران لحميد العقابي:

تمثل رؤية العالم الأفكار المتراكمة في ذهن الفرد (الكاتب) حول العلاقات الاجتماعية بجميع جوانبها المتجسدة في طبقة ما أو مجتمع ما، فيحاول هذا الأخير أن يبلورها في عمل أدبي يعبر فيه عن رؤيته حول هذه الطبقة أو المجتمع. ونجد أنَّ الكاتب (حميد العقابي) الذي عاش ظروف بلده السياسية والاقتصادية والاجتماعية الصعبة، وقاسى النفي عن بلده، قد عبَّر في روايته (الفئران) عن رؤاه عن تلك الفترة، منها:

3-1 الرؤية السياسية:

لقد شهد العراق في زمن النظام البائد على الكثير من الحروب والأزمات المالية والاقتصادية، التي ألقت بظلالها على المجتمع العراقي من فقر وعوز وقهر وحرمان، إضافة إلى أنَّ السياسة الدكتاتورية قد اتبعت نهج القمع والنفي والظلم، وهو ما عاشه الكاتب (حميد العقابي) فحاول أن يبرز رؤيته السياسية في الرواية.

تبدأ الرواية بوصف السجن والوضع النفسي الذي يعيشه المساجين وعملية التغير (المسخ) السريعة التي تقلص دورة حياتهم بشهور أو سنوات، فالبداية شكلت ثنائيات شباب/عجز، عنفوان وطموح/انكسار، نضارة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وحياة/ذبل وموت... فكان السجن هو رمز للوطن (العراق) وعملية المسخ وإلغاء الذات هو وصف لعبثية السياسة والقهر الذي تمارسه على الشعب (الوجوه هنا تتغير باستمرار. تأتي نضرة لكن سرعان ما تتغير شيئاً فشيئاً، تذبل أو تزداد نضارة وتغادر المكان...بعضهم أطلق سراحه بعد أيام أو شهور أو سنوات والبعض الآخر لفظ أنفاسه الأخيرة فحمله السجانون بكيس قمامة وخرجوا به دون أن يترك موته أثراً في نفوس الذين ينتظرون صدور أمرهم وربما حسده البعض لانعتاقه من الجحيم)[11:ص5]، وقد عمد الكاتب إلى اختيار شخصياته بتوجهات سياسية مختلفة فكان المعارض سواء أكان منتمياً لحزب أو المثقف أو الفنان أو الشاعر، يمثل الشخص الذي حافظ على توجهه والمصير المأساوي الذي أصابهم، في حين كان هناك شخصيات تمَّ مسخهم وهم من نالوا مناصب عالية كشخصية (خفاش (جاسم عبد صنكر) الذي تقلد منصب المستشار الثقافي في سفارة البلد بموسكو) والشيوعي (نعيم حسين) الذي أصبح في ما بعد مدير غرفة التجارة بعد أن قاموا بمسخه وترويضه، و(الشيخ جاموس) الذي ليس له توجهات سياسية أو حزبية لكنه كان رمزاً مهماً يبرز كيفية تعامل السياسة مع الجانب الديني فقد كان مصيره الموت بعد الفشل بتحويله ومسخه، و(عباس ناصر) الشاعر الوطني الذي لم يرضخ لسياستهم لكن –مع الأسف– أصيب بالجنون (جلس عباس هادئاً على حافة سريره وقد كنتُ أرقبه بحذر وأنا أقرأ ما في رأسه من أفكار مترقباً لردة فعله القادمة فقد كنت واثقاً من أنّ عباس قد سمع الصوت نفسه الذي كنت أصغي إليه (صوت الحرية المكبلة وهي تستغيث) وصدق ظني حينما نط عباس وراح يقرأ شعراً بصوتٍ عالٍ...حتى انتهى إلى قوله:

فاصرخ بناذرة الخطوب فإنَّه في الذل يحيا كل من لا يصرخُ)[11:ص77–78]

بهذا البيت الشعري اختصر الكاتب رؤيته السياسية في تلك الحقبة، فمصير المرء أما الموت دون أن يترك موته أي أثر يذكر أو العيش بذل ومهانة. فكانت السياسة استبدادية متسلطة آمرة لا وجود لرأي آخر، ولا وجود لقوة أكبر من قوة السيد الرئيس ولا وجود للثقة بالآخر بسبب الجواسيس والتقارير (فالمعارضة كلمة محذوفة من قاموس الحياة اليومية للمواطن منذ اعتلاء السيد الرئيس عرش الربوبية في وطنٍ تتصارع فيه الملائكة والشياطين، فعمَّ السلام والأمن ولم يبقَ من شيطان أو ملاك إلاّ وتجدهُ ساجداً مسبحاً لمجد السيد الرئيس)[11: ص6](والسائر إلى المشنقة كان لا يجرؤ على شتم القائد خوفاً على أعشار الثانية المتبقية من حياته أو طمعاً برحمة مستحيلة ممن لا يعرف الرحمة)[11:ص37].

3–2 الرؤية الاجتماعية:

إنَّ الأدب ظاهرة اجتماعية يخضع في نشأته وتطوره وازدهاره أو انحطاطه للواقع الاجتماعي والتاريخي، والرواية كعمل أدبي ظاهرة اجتماعية تنطلق وتوجد في بيئة اجتماعية في ظروف سياسية معينة ومناخ اجتماعي وسياسي معبأ بأحداث تاريخية محددة تتضح ضمنها وتبلور وفق معايير يحددها الكاتب من منظوره المعرفي الفكري. فلكل كاتب نظرته إلى الأدب والى المجتمع، والقارئ لرواية الفئران يلحظ رؤية الكاتب للواقع الاجتماعي في العراق في تلك الفترة. فالخوف والانهزامية والاستسلام والرضوخ والضعف وضياع الارادة أمام عرش السلطة الإلهي، كل هذه الصفات هي صفات ثابتة عامة في حياة الشارع العراقي، فالسجناء كانوا خائفين حتى من التحدث فيما بينهم منصاعين للأوامر ظناً منهم بأنَّهم مراقبون (وإنَّما اكتشفنا بأننا طوال فترة سيرنا التي تجاوزت

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

بضع ساعات كنا نتوهم صوت رئيس العرفاء يحثنا على السير ويحذرنا من الوقوف حيث إننا اكتشفنا لا وجود لرئيس العرفاء أصلاً.((ألم نسمع صوت رئيس العرفاء طوال الطريق وهو يردد يس يم؟)) سأل رجل فلم يجبه أحد ولكني رددتُ مع نفسي بيقين:((إنَّه صوت نفسك الأمارة بالعبودية)))[11:ص15].

لقد صور الكاتب الفساد والانحلال الاخلاقي الذي عمَّ الشارع العراقي عبر شخصية (دُلفين الملطي) وعلاقته بـــ(خفاش) وعجز حتى (الشيخ جاموس) من تغيير هذا الواقع، لا، بل تكرار الأمر مع بقية المساجين بعد خروج خفاش من السجن، فكان دلفين يتقافز بين أسرة المساجين مع زيارات سرية لسريره في الليل.(وقد كريماً وهو يتناقل بين الأسرة شبه عارٍ، فيرتمي بين ذراعي هذا أو يسمح لذراع ذاك أن تحيط بخصره أو تداعب خده ...وربما لسبب آخر حيث انكشف الغطاء عن أكثر من دلفين في القاعة)[11:ص99] والكاتب لم يكتف باستثمار الشخصيات لتصوير الجانب الاجتماعي وحسب، بل هو عبر عن هذا الواقع بشكل مباشر في روايته (أما العيب فمفردة تلاشت من القاموس فحينما نشرت صحيفة (السعادة) في صفحتها الأولى إعلاناً عن نية الحكومة لاستيراد رجال وسيمين من البلدان الاسلامية لتحسين النسل وللقضاء على مشكلة العهر الذي استشرى في البلد بسبب كثرة الأرامل والعوانس، ولم تنجح خطة قتل مَن يُشتبه بها في الساحات العامة، لاقت الفكرةُ استجابةً كبيرة من قبل النساء واستحساناً فائقاً من الرجال ...)[11:ص9] نلحظ مما سبق أنَّ الكاتب لديه رؤية اجتماعية سلبية عن الواقع العراقي في تلك المرحلة فهو واقع منحل منغلق وجاهل والعبودية والضعف هو السمة العامة، وهذا نتيجة لإرادة سياسية.

3-3 الرؤية الدينية:

يشكل التراث الديني جزءاً كبيراً من ثقافة أبناء المجتمع العربي، لذا فإنَّ أي معالجة للتراث الديني هي معالجة للواقع العربي وقضاياه، لكون الدين من أهم المقومات الأخلاقية للإنسان العربي الذي لو أنَّه تشبث بتعاليم الإسلام لاستطاع المضي قدماً وبناء أرقى الحضارات. وقد وظفت الرواية العربية المعاصرة النص الديني على مستويات عدة، كتوظيف البنية الفنية واستحضار الشخصيات الدينية وتصوير شخصية البطل في ضوئها، وبناء أحداث القصة الدينية بالإضافة إلى التنويع في ادخال النص الديني في الرواية[15:ص139].

وفي رواية الفئران –على الرغم من أنها رواية سياسية– إلاّ أنَّها صوّرت جانباً دينياً لتلك المرحلة عبر استثمار شخصية (شيخ جاموس) في تصوير الصراع بين الدين والسياسة، بل غلبة السياسة واستغلالها للدين للتحكم بالشعب وسلب إرادته والقضاء على خصومه (قال أحدهم بصوت واطئ موجهاً كلامه لي: (الله كريم) وما كاد يكمل جملته حتى تلعثم وارتبك بعد أن وخزه الآخر بنظرة غريبة فراح يتمتم محاولاً تصحيح الخطأ: أقصد لا تيأس من رحمة السيد القائد... فالسيد الرئيس كريم...ولم تمر سنة إلاَّ وأعلن عن مكرمة تشمل الشعب جميعاً... وحتى السجناء والمجرمون)[11:ص131-132]. بما أنَّ الدين لم يكن بالقوة الموازية للسلطة –نتيجة للفقر المادي والمعرفي الذي عمَّ المجتمع آنذاك وهو غاية سياسية مقصودة– فانَّ السلطة قد جعلت من الدين وسيلة للسيطرة المطلقة واقصاء المناوئين لها، ففي كثير من المواضع في الرواية نكتشف المهارة البارعة للسلطة في استخدام آيات القرآن الكريم وليّ عنقها وجعل معانيها بما يخدم مقاصدهم (بسم الله الرحمن الرحيم...وجعلوا أعزة أهلها أذلة كذلك يفعلون) توقف قليلاً ثم راح يردد بيقين: (صدق الله العظيم.. صدق الله العظيم).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

(هه...) ندت همسة ساخرة من السجين الواقف خلفي، وردد آخر:

(والله ما يعرف ماذا تعني الآية)

بينما ردد ثالث بلهجة لها دلالة بليغة(صدق الله العلي العظيم...صدق الله العلي العظيم)

(بالمناسبة لقد اعتاد رجال السلطة بتلقين من القائد أو تقليد له على استغلال آيات من القرآن الكريم بطريقة تعكس المعنى الحقيقي للآية...)[11:ص87]. لم يكتفِ رجال السلطة بتغيير معاني الآيات، بل غيروا الآيات نفسها، ففي درس الدين حين دخلت (حمامة) بلابسها المحجب أمرت المساجين بقراءة الآية المغلوطة (مسكت قطعة من الطباشير وراحت تخط على السبورة بخط واضح وجميل: ((قال الله في كتابه المجيد: بسم الله الرحمن الرحيم (وإنَّ أعذب الاصواتِ لَصَوتُ الحَميرِ) صدق الله العلي العظيم)[11:ص106]، فالدين لم يكن اتجاهاً مضاداً للسلطة ، بل كان وسيلة من وسائل النظام السياسي في تثبيت سلطته وزيادة قوته.

من هنا يمكننا القول: إنَّ الكاتب حميد العقابي حاول أن يبلور رؤيته عبر روايته (الفئران) التي تأرجحت بين رؤية سياسية، ورؤية اجتماعية، ورؤية دينية، مع غلبة الرؤية السياسية فيها، فالسياسية جسدت المنهج الذي اتبعته السياسة في ذلك الوقت وطريقة تعاملها مع الاتجاهات والتيارات المختلفة. أما الاجتماعية فقد جسدت واقع الشارع العراقي ووضعه الثقافي وآلامه والاضطهاد الذي مُورِس عليه. في حين جسدت الرؤية الدينية ضعف الوعي الديني بإرادة سياسية مقصودة لاستخدام هذا الجانب في فرض سيطرته.

الخاتمة:

- تعدّ البنيوية التكوينية هي المنهج الوحيد الذي جمع بين متناقضين؛ لأنّه جمع بين الماركسية التي عدت النص الأدبي انعكاسا للواقع، أي إنَّ هناك ترابط مباشر بين الإبداع الأدبي والعلاقات القائمة بين الطبقات الاجتماعية، وبين البنيوية التي جاءت لتجعل النص الأدبي بنية مغلقة قائمة على مبدأ المحايثة الذي يقصي جميع السياقات الخارجي، حتى أنّه عزل النص عن مؤلفه، وبهذا فإنّ البنيوية التكوينية جمعت بين ما هو داخلي وما هو خارجي، فركزت على البنيات الداخلية التي يتكون منها النص وفي الوقت نفسه لم تهمل ذلك الخيط الذي يجمع بين النص وواقعه.
- قدم لوسيان غولدمان منهجاً جديداً لكنه استند في ذلك على استاذه جورج لوكاتش، فقدم لنا آليات منهجية للتعامل مع العمل الأدبي.
- تمزج آليات البنيوية التكوينية بين الدراسات الداخلية التي تتمثل في البنيتين السطحية والعميقة، بالإضافة إلى الدراسة الخارجية التي تشمل البنى الاجتماعية والثقافية والتاريخية.
- رؤية العالم هي العلقة الموجودة بين الواقع المعيش وفهم الأديب لهذا الواقع، إذ إنّه لكل مجتمع عادات وتقاليد ايديولوجيا تميز بها عن غيره من المجتمعات، والأديب يقوم بالتعبير عن ذلك في عمل أدبي يلخص فيه واقع طبقة ما، أو مجتمع ما، فيبتعد عن الانعكاس الآلي وفي الوقت نفسه يوضح رؤيته التي بلورها عن هذه الطبقة أو المجتمع.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

-تأرجحت رواية الفئران بين الرؤية السياسية التي شملت أغلب الرواية، فقد جسدت المنهج الذي اتبعه النظام البائد في ذلك الوقت وطريقة تعامله مع التيارات والاتجاهات المختلفة.

-حاول حميد العقابي نقل واقع المجتمع العراقي، وكانت رؤية العالم عنده رؤية اجتماعية واقعية موضوعية.

-عبر الكاتب حميد العقابي عن رؤيته الدينية، التي كانت رؤية سلبية توضح ضعف الوعي الديني لدى الشارع العراقي، وضعف السلطة الدينية أمام السلطة السياسية.

CONFLICT OF IN TERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر:

[1] حميد لحمداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دار الثقافة، ط1، 1985م.

[2] لوسيان غولدمان، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر: محمد سيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، لبنان، 1986م.

[3] أحمد سالم ولد أباه، البنيوية التكوينية والنقد العربي الحديث، المكتبة المصرية، 2005م.

[4] زكريا ابراهيم، مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، د.ط، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.

[5] محمد نديم خفشة: تأصيل النص، المنهج البنيوي لدى غولدمان، مركز الإضماء الحضاري، ط1، حلب، 1997م.

[6] بيير زيما: النقد الاجتماعي (نحو علم اجتماع النص الأدبي)، تر: عايدة لطفي، دار الفكر للدراسات والتوزيع، ط1، القاهرة، 1991م.

[7] صالح سليمان عبد العظيم: سوسيولوجيا الرواية السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1998م.

[8] صلاح فضل، في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2007م.

[9] علي عبد الرحمان فتاح: تقنيات بناء الشخصية ثرثرة فوق النيل، مجلة كلية الأدب، قسم اللغة العربية، عد:102جامعـــة صـــلاحالدين الأيوبي.

[10] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009م.

[11] حميد العقابي، رواية الفئران، منشورات الجمل، مكتبة الفكر الجديد، ط1، بيروت-لبنان، 2013م.

[12] عبد الوهاب زغدان، المكان في رسالة الغفران -أشكاله ووظائفه، دار صامد، تونس، ط 2، 1995م.

[13] غاستون باشلار، جماليات المكان، تر. غالب هلسا، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط 5، 2000م.

[14] ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، تر. يوسف حلاق، وزارة الثقافة، سوريا، 1990م.

[15] محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq